بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة: 22 محرم 1431 هجري إعداد: خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى
وفق: 2010/01/08م www.al-msjd-alaqsa.com

حكمة القضاء والقدر

الله هو مالك هذا الكون وخالقه والمتصرف فيه، وله الحق –سبحانه– أن يفعل فيه ما يشاء، ولا يُسأل سبحانه عن ذلك، يقول عز وجل (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء21: 31)، فلا نسأل لماذا أعطى الله فلان هذا الشيء ولم يعطيه آخر، أو لماذا حرم فلان من هذا الشيء ولم يحرم منه غيره، فهذا هو شأنه، ولكننا نعلم أن لكل شيء سبب وحكمة، وإذا ما إستعرضنا آيات الدرجات للناس في الأرض في القرآن الكريم سنلاحظ شيء مهم جداً، لاحظ معي:–

1. يقول عز وجل (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف43: 32).
2. يقول عز وجل (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام6: 165).
3. يقول عز وجل (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الأحقاف46: 19).

فالدرجات قسمة من الله، والدرجات إبتلاء من الله، والإجابات على هذه الإبتلاء سيكون له نتيجة سريعة في الدنيا ونتيجة آجلة في الجنة، فإذا قبل الإنسان حكم الله ورضي به يكن من الشاكرين، وأما إذا رفض حكم الله، يكن من الكافرين، يقول عز وجل في

سورة (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان76: 3). فالمسلم لا يعترض على قضاء الله وقدره، إن كان فقيرًا أو ضعيفًا؛ لأنه يعلم أن الفقر والغني والقوة والضعف إنما هي من قضاء الله وقدره، يختص الله بها من يشاء من عباده، والمسلم يعلم أن إيمانه بالقضاء والقدر يجعله ينطلق في الأرض؛ ليتعرف على سنن الله وقوانينه، ويعمل على تعمير الأرض وبنائها، فيكون إيمانه بالقدر باعثًا له على النشاط والعمل، فإن كان النجاح فهو بقدر الله –عز وجل–، وإن فشل لا يجزع، بل يصبر ويعلم أنه قضاء الله وقدره، يقول عز وجل (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد57: 22–23). والمسلم يعلم أن ما قدر له يكون، وما لم يقدر له لا يكون أبدًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (مسلم). والمسلم يؤمن أن ما يحدث له يقع بالكيفية التي قدرها الله –عز وجل–، فأمره سبحانه بين الكاف والنون. يقول عز وجل (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران3: 47). لذلك يوصي الرسول عليه الصلاة والسلام ابن عباس –رضي الله عنهما– فيقول: (.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (الترمذي).

إرادة الله وإرادة البشر

والمسلم يؤمن أن الله –عز وجل– قدَّر أمورًا كثيرة تحدث للخلق حسب إرادته ومشيئته، وأنها تحدث لهم طوعًا أو كرهًا، رضوا بها أم لم يرضوا، كمولد الإنسان، وساعة وفاته، وجنسه، وذكائه وطوله وقصره، وجماله وقبحه، وأبيه وأمه...، فهذه الأشياء لا دخل للإنسان في تقديرها، ولكنه يرضى بما اختاره الله سبحانه له، يقول سبحانه وتعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص28: 68). وكذلك المؤمن يصبر على قضاء الله وقدره، إن كان في مصيبة كالموت أو المرض؛ لأنه يعلم أن ذلك تخفيف عنه يوم القيامة وتطهير له من السيئات. يقول عز وجل (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنعام6: 17)، ويقول (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس10: 107). وكذا يؤمن بما يحدث في الكون من حوله، وأنه لا دخل لإرادة الإنسان فيه، فتكوين السحاب، ونزول المطر، وحدوث البرق والرعد وغيرها، هذا قدر لا دخل للإنسان فيه، فهذا النوع من القدر يجب على المسلم الإيمان والرضا به، لأنه يقع وفق إرادة الله ومشيئته. وهذا إبراهيم– عليه السلام– يؤمن بمشيئة الله الكونية، وكيف لا يؤمن بها وهو إمام الموحدين؟! فيلقي حجته قاطعة مبرهنة على صدقه أمام الملك الذي أنكر وجود الله، فقال إبراهيم: (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) (البقرة2: 258). علم إبراهيم أنها إرادة الله وحده، وهذا الكافر ينكر وجود الله، فأمره إبراهيم –عليه السلام– أن يأتي بالشمس من المغرب فماذا حدث؟ قال تعالى: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة2: 258). والمسلم يؤمن أن كل إنسان له إرادة، يفعل بها ما يشاء،

ويترك ما يشاء، كالقيام والجلوس والكلام والأكل والشرب والحركة ونحوها، فكل هذه الأعمال من المشيئة التي جعلها الله في الإنسان، وإن كانت تابعة لمشيئة الله –عز وجل–، لأن الله خالق الإنسان وخالق مشيئته وقدرته. يقول عز وجل (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) (الإنسان76: 30)، ويقول (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير81: 29). فالمسلم يعلم أنه لا يفهم من ذلك أن الله أجبر العباد على أفعالهم، ثم يحاسبهم عليها بعد ذلك؛ لأن هذا لا يستقيم مع ما يؤمن المسلم به من عدل الله – سبحانه وتعالى–، الذي لا يظلم الناس شيئًا، فمن المعروف أن الله –عز وجل– خلق طريقين، طريق الهداية وطريق الضلالة، وشاء –سبحانه– أن يختار الإنسان أحد الطريقين، بعد أن بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر، قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد90: 10)، وأمر الناس أن يسيروا في الطريق المستقيم، ووعدهم الثواب العظيم إن ساروا على نهج الله، وحذرهم من الكفر والضلال، وأوعدهم بالعقاب الشديد على ذلك. والله – سبحانه– يحب لعباده أن يسلكوا سبيل الخير والإيمان، ولا يرضى لعباده الغواية والضلال، قال تعالى: (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُم وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُم) (الزمر39: 7). ولكن المؤمن يعلم مع هذا أن اختياره لأحد الطريقين (الخير أو الشر) لا يعني بالضرورة حدوث العمل الذي اختاره، فإن أنا اخترت أن أذهب للبيت، فوصولي للبيت هو شأن من شؤون الله، إن شاء الله وصلت وإن لم يشاء لم أصل، ولا يمكن لمشيئتي أن تعلو فوق مشيئة الله، لذلك فإن حصول الخير أو الشر إنما هو بيد الله، يقع منه ما يشاء كيفما شاء متى شاء، لذلك فإن من تمام عدله عز وجل أن جعل حسابنا على النية في القيام بالعمل وليس على العمل نفسه، جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)، والمسلم يعلم أن الله قد بين للإنسان طريق

الهدى، وأرسل له الرسل، وأنزل معهم الكتب ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله –عز وجل– وطاعته، ويحذرهم من الانحراف عن طريق الله المستقيم، قال تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر) (الكهف18: 29). وقال سبحانه: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) (الإنسان76: 3). ويحكي القرآن ما كان من قوم ثمود الذين استحبوا طريق الضلال على طريق الله المستقيم، فيقول: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) (فصلت41: 17). فقد بين الله لهم الطريق المستقيم، ولكنهم لم يسلكوه واتبعوا الشيطان. والمسلم يؤمن بأن الله –عز وجل– قدَّر الأرزاق والآجال أزلا، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، يقول عز وجل (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُم تَنطِقُونَ) (الذاريات51: 22–23). وقال صلى الله عليه وسلم (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها) (الحاكم وابن أبي الدنيا). والمسلم يطمئن قلبه عندما يعلم ذلك، ويقول كما قال الحسن البصري –رحمه الله–: علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي. والمسلم لا يتواكل (يتكاسل وينتظر الرزق)، لكنه يأخذ بالأسباب التي تأتي بالرزق، فهذا من قدر الله –عز وجل– ولو أنه أخذ بالأسباب وتوكل على الله، لرزقه الله رزقًا كثيرًا، قال صلى الله عليه وسلم (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا) (الترمذي). والمسلم يؤمن أن أجله ونهاية عمره بيد الله –عز وجل–، لا يستطيع أحد أن يؤخر أو يقدم في ذلك شيئًا، وأنه لن تموت نفس قبل أن تستوفي أجلها، يقول سبحانه وتعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً) (آل عمران3: 145). وقالت السيدة أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. (تقصد أن يطيل الله عمرها وأعمارهم حتى يتمتع كل بالآخر)، فقال صلى الله عليه وسلم (قد سألتِ الله لآجال مضروبة، وأيام

معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حِلِّه، أو يؤخر شيئًا عن حِلِّه، ولو كنـــتِ سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل) (مسلم).

-يتبع-

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

www.al-msjd-alaqsa.com

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9 P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683 E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com	القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9 ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول: 972523623683+، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com www.a-q-s-a.com